

النشاط العسكري للشيخ عبد الحفيظ الخنقي في الزاب الشرقي

- معركة واد براز 17 سبتمبر 1849م أنموذجاً -

Military Activities of Sheikh Abdelhafidh Al-Khengui in the Eastern Zibans: The Battle of Oued Birâz (17 September 1849) as a Case Study

د. / قزولة نور الدين

جامعة العربي التبسي تبسة

البريد الإلكتروني: nour.kazoula@univ-tebessa.dz

الملخص:

يتناول هذا البحث شخصية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي بوصفه نموذجاً لقيادة المقاومة الشعبية الجزائرية، التي جمعت بين الزعامة الدينية، والقيادة العسكرية خلال القرن التاسع عشر. نشأ الشيخ في خنقة سيدي ناجي، في بيئة علمية وصوفية أسهمت في تكوينه العلمي والروحي، ما أهله ليكون شيخ زاوية وقائداً عسكرياً في آن واحد. ركزت الدراسة على معركة واد براز سنة 1849م، باعتبارها أبرز محطات جهاده ضد الاحتلال الفرنسي، محاولة تحليل استراتيجيته العسكرية في إدارتها. أظهرت النتائج أن الشيخ الخنقي اعتمد على تنظيم قبلي واسع، وتعبئة جهادية شاملة، مع توظيف ذكي للجغرافيا، خاصة ضفاف الأودية، لتحقيق عنصر المفاجأة والتمويه. كما انتهج أساليب قريبة من حرب العصابات، مكبداً القوات الفرنسية خسائر معتبرة، من بينها مقتل قائدها. وتبرز المعركة أهمية التنسيق بين الزوايا والقبائل في توحيد الجهود المقاومة، ما يجعل تجربة عبد الحفيظ الخنقي ذات قيمة تاريخية وعسكرية تستحق الدراسة والتدريس.

الكلمات المفتاحية: الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، المقاومة الشعبية الجزائرية، معركة واد براز، الاستراتيجية العسكرية، الزوايا الصوفية.

Abstract:

This study examines the figure of Shaykh ‘Abd al-Ḥafīz al-Khanqī as a representative model of Algerian popular resistance leadership that combined religious authority with military command during the nineteenth century. He was raised in Khunqat Sīdī Nāğī, within a scholarly and Sufī milieu that shaped his intellectual and spiritual formation, enabling him to assume simultaneously the roles of a zāwiya shaykh and a military leader. The research focuses on the Battle of Wādī Barāz in 1849, regarded as the most significant episode of his struggle against the French occupation, with the aim of analyzing his military strategy in managing this confrontation. The findings reveal that al-Khanqī relied on a broad tribal organization and comprehensive jihād-based mobilization, combined with a skillful exploitation of geography—particularly riverbanks—to achieve surprise and concealment. He

also adopted tactics akin to guerrilla warfare, inflicting substantial losses on French forces, including the death of their commander. The battle highlights the crucial role of coordination between Sufi lodges and tribes in unifying resistance efforts, underscoring the historical and military significance of Shaykh ‘Abd al-Ḥafīẓ al-Khanqī’s experience, which merits further study and instruction.

Keywords: Shaykh ‘Abd al-Ḥafīẓ al-Khanqī; Algerian popular resistance; Battle of Wādī Barāz; military strategy; Sufi zāwīyas.

الباحث في تاريخ المقاومات الشعبية الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي غالبا ما يلاحظ ان قيادة هذه المقاومات تنوعت في زعامتها بين قيادة دينية أو روحية يمثلها مرابط أو شيخ زاوية، وقيادة سياسة وعسكرية ويمثلها قائد عرش أو شيخ قبيلة أو باش أغا، وهناك ثورات جمع زعيمها القيادة الثنائية فتجده شيخ قبيلة وزعيم ديني صوفي، من بين هؤلاء القادة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي الذي هو محل دراستنا في هذا البحث وقد ركزة على نشاطه العسكري وبتحديد المعركة الشهيرة واد براز، بحيث وضعنا دراسة دقيقة لهذه المعركة مجيبين على الإشكال التالي: كيف كانت إستراتيجية عبد الحفيظ الخنقي العسكرية في إدارة معركة واد براز 1849م ؟

الشيخ سي عبد الحفيظ الخنقي بن محمد بن احمد الخنقي ولد بخنقة سيدي ناجي سنة 1203 هـ الموافق لـ 1789م، هذا التاريخ فيه اختلاف ولكن إجماع المصادر والمراجع على هذا التاريخ بالتحديد¹، ومن الكتب المهمة التي تحدثت عن سيرة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي كتاب منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف للكاتب عاشور بن محمد الخنقي الذي ارجع نسب الشيخ إلى النسب الشريف فهو عبد الحفيظ بن محمد الخنقي الشريف الهاشمي الفاطمي الحسني الكامل الإدريسي الهجرسي العامري الونجلي².

¹ - عباس كحول، 2012م، ص. 266.

² - عاشور بن محمد الخنقي، 2014م، ص. 14.

ولد الشيخ بخنقة سيدي ناجي التي أسسها الشيخ المبارك بن القاسم عندما قصد هذه المنطقة التي كانت تعرف بمنطقة مورد النعام بعد رؤية رآها في المنام³، وأول لبنة لهذه المدينة كانت سنة 1010هـ الموافق 1602م، بإنشاء زاوية للصلاة ولتعليم العلوم الشرعية فأصبحت وجهة للطلاب⁴، وقد قال عنها الورتلاني بأنها قرية مباركة طيبة تكثر فيها تربية النحل أي أنها تمتاز بكثرة العسل الحر كما أنها تحتوي على أشجار بين جبلين وقال عنها أنها تشبه مكة في وضعها وفي بركتها⁵، هذه الميزة التي تميزت بها القرية جعلت من الطلبة يؤتون لتلقي العلم في زاويتها مما جعلها تتوسع وتصبح في ما بعد بالزاوية الناصرية⁶.

ترعرع عبد الحفيظ الخنقي في هذه القرية كما تعلم القرآن في سن مبكر ونهل العلم من منابع علماء الزيبان منهم: العالم الجليل الصديق الونجني، والعالم محمد بن عزوز البرجي مقدم الطريقة الرحمانية بمنطقة الزاب وهو من الأشخاص الذين تأثر بهم عبد الحفيظ الخنقي وخاصة في بناء شخصيته العلمية فقد قدم له كل ما يملك من علم ومعارف وإحكام وتصوف⁷.

استطاع عبد الحفيظ الخنقي أن يتحصل على العديد من العلوم التجريبية والدينية والأدبية كما كان له عدة مؤلفات ودواوين شعرية، هذا التحصيل العلمي أهله بأن يخلف شيخه عزوز البرجي بعد وفاته، فقام بتقديم الدروس والمواعظ الدينية بزاوية البرج إلى أن أسس زاويته الحافظية الخلواتية بالخنقة، كان لهذه

³ - عبد الحليم عساسي، مروان سميح قدوح، 2019م، ص. 122 .

⁴ - عبد السلام عساسي ومروان سليم قدوح، 2019م، ص. 122.

⁵ - الورتلاني الحسين بن محمد، 2008م، ص. 150.

⁶ - لقد عرج ابو القاسم على الزاوية الناصرية ذاكرا فضلها العميم، في نشر العلم والمعرفة في تلك المنطقة فقال عنها: "كانت الزاوية الناصرية بجامعها الكبير، هي التي أشعت على الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين او يزيد، وكانت موئل علماء الزاب والصحراء والأوراس وقسنطينة وزواوة بل تونس وطرابلس ايضا، وكانت المدرسة التي ما تزال قائمة ، تحتوي على خمسة عشرة غرفة ، وتظم كل غرفة من خمسة إلى عشرة طلاب". للمزيد من التفصيل يراجع: أبو القاسم سعد الله، 1983م، ص. 260.

⁷ - تنسب هذه الطريقة إلى محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن يوسف بن أبي القاسم المكنى الأزهري، ولد بين سنتي 1126هـ/1721م في منطقة ايت اسماعيل وان عرش ايت اسماعيل من عروش قشطولة ، تلقى تعليمه الأول بزاوية الشيخ الصديق بن اعراب بايت ايراثن، ثم انتقل الى المشرق سنة 1152هـ/1739م حيث تتلمذ على يد الشيخ محمد بن سالم الحفناوي المصري بالقاهرة وفي سنة 1177هـ/1763 عاد الى قريته بيت إسماعيل وأسس زاويته هناك. للمزيد من التفصيل يراجع: زراري شمس الدين وين زوال جمعة، 2021م، ص. 563.

الزاوية الدور الكبير في نشر الطريقة الرحمانية الخلوتية في الزاب الشرقي وتوسيع نشاطها الذي امتد إلى تونس، تتلمذ على يد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي العديد من الشيوخ نذكر منهم "محمد المدني بن عزوز" و"التازري بن عزوز" وغيرهم من المشايخ، كان للشيخ سبعة أبناء ذكور وسبعة إناث، منهم الشيخ الحفناوي والشيخ محمود الذين قاموا بتتبع مسار الشيخ وطوروا زاوية ليانة والشيخ الأزهرى الذي أشرف على زاوية الخنقة⁸ كما قام بإنشاء زاوية خيران، ترك عبد الحفيظ الخنقي عدة مؤلفات منها:

- ✓ غنيمة القارئ بترجمة ثلاثيات البخاري.
- ✓ التعريف بالإنسان الكامل.
- ✓ المجموع الفايق والدستور الرايق المسمى بالجواهر المكنونة والعلوم المصونة يحتوي على 178 صفحة في كل صفحة 24 سطر بالخط المغربي ويحتوي على عناوين في الحواشي ، يتناول المحاور التالية ك إحكام الروح ، الكلام في الحقيقة الفناء و إحكام الروح الكلام في الحقيقة الفناء والبحث في سر الخفاء ، الكلام في الاعتزاز سكرات الموت ن التجليات⁹.
- ✓ حرب الفلاح ، مصباح الأرواح .
- ✓ الحكم الحفيظية على مناول الحكم العطائية.
- ✓ غنيمة المريدين في التصوف.
- ✓ غاية البداية في حكم النهاية¹⁰. الذي نشر عام 1896 بتونس¹¹.
- ✓ سر التفكير في أهل الذكر .
- ✓ امتزاج النفس .

⁸ - على حسب ما ذكره المؤرخ أبو قاسم سعد الله في رحلته بأنه ليس هناك تاريخ مضبوط لتأسيسها، وتوجد لوحة خشبية عند ضريح الشيخ عليها كتابات بالسمق في اتجاهات مختلفة، وأنه توفي عام 1267هـ، أما ضريحه معتم ورطب، وفيه خرق كثيرة الألوان، وعليه سبعة ضخمة ذات حبات بنية اللون. للمزيد من التفصيل يراجع: لزهري فارس، 2017م، ص. 09 .

⁹ - صالح بلعيد؛ وآخرون، 2015م، ص ص. 397 ، 399.

¹⁰ - خير الدين الزركلي، 1990م، ص. 279.

¹¹ - محمد الطاهر علاوي، 2016م، ص. 16.

- ✓ وصية الشيخ الإخوان .
- ✓ صفة أرض المحشر .
- ✓ نصرة المقتدي .
- ✓ رسائل في الذكر¹² .

إن المتمعن في حياة العالم سي عبد الحفيظ الخنقي يجد انه جمع بين العلم والحكمة والرزانة مما أهله بأن يقون قائدا عسكريا قاد العديد من المعارك ضد الاحتلال الفرنسي أبرزها معركة واد براز التي انتهت بخسارة الجيش الفرنسي عقب مقتل قائدهم والعديد من أفراد جيشهم، هذه المعركة هي محل دراستي في هذا المقال، فركز فيها على الجانب العسكري وكيف استطاع عبد الحفيظ الخنقي أن يدير مجريات هذه المعركة وفق استراتيجية عسكرية محكمة أربكت قادة الجيش الفرنسي في تلك الفترة.

يقع واد براز في شمال سيدي عقبة في مكان مكشوف قرب سريانة وبالتحديد في الضفة اليسرى لمجرى وادي براز، حيث تمركزت قوات المقاومة وخيالها على الجهة اليمنى للواد، وتناور بالحركة بين واحة سريانة، وجبل أحمر خدو عند الأوراس¹³.

تحديد هذا المكان بالضبط يدخل ضمن إستراتيجية العسكرية للشيخ عبد الحفيظ الخنقي بحيث تعتبر ضفاف الوديان نقطة تكتيكية تستخدم للانتشار والاختباء والتمويه بحيث يصعب على العدو رصدتهم بسهولة، وتقديم الدعم الناري بالبنادق من مكان مرتفع، بالإضافة إلى ذلك يمكن ان تساعد هذه الإستراتيجية على تغطية التحركات للحفاظ على السرية والمفاجأة خلال العمليات العسكرية، لذا فإن إدارة المعارك على ضفاف الأودية تساعد بشكل كبير حماية القوات وتوفير منصات إستراتيجية لتنفيذ العمليات العسكرية والمتمثلة أساسا في المبارزات الفردية أو الجماعية.

المتتبع لتاريخ المنطقة يجد ان أصل تسميت واد براز راجع إلى المبارزات التي وقعت على مجرى الواد في عهد الفتوحات الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع الفهري، وهذا الواد مجرى مائي ينبع من جبال الأوراس من قمم

¹² - عباس كحول، 2012م، ص. 270.

¹³ - محمد الطاهر علاوي، 2016م، ص. 14.

شيليا، وهو أحد فروع الواد الأبيض، بحيث يعبر قبيلة أولاد التوابة عبر المنحدرات والمضايق تيغانمين، ليقطع مرتفعات غسيرة ومشونش، ثم يضيق عند فم الغرزة حيث منخفض الصحراء، تستفيد منه القرى التالية: عين الناقة، وقرطة، وسريانة، وتهودة، وسيدي عقبة¹⁴.

بعد فشل المستعمر في إخماد ثورة الزعاطشة نجاح بوزيان في توسيع دائرة جهاده، ونشر مبادئ الجهاد في مختلف القبائل البعيدة عن صدى المقاومة، بدأ بمراسلة زعماء القبائل المجاورة له طالبا يد العون والمساعدة، من أجل فك الحصار المفروض عليها فاستجاب له كل من: سي عمران، الشيخ بن الجودي، والشيخ الخنقي، هذا الأخير الذي جند ما يملك من الذخيرة والمؤن والجيش، لهذا ارتبطت أسباب وظروف معركة وادي براز بمقاومة الزعاطشة ناهيك عن بعض الأسباب التي تتمثل في:

- ✓ التخلص من الاحتلال الأجنبي الذي استولى على بسكرة بصفة خاصة والجائر بصفة عامة.
- ✓ استرجاع وتحرير الزيبان من المستعمر وافتكاك بسكرة ومناطق أخرى.
- ✓ توحيد جهود الكفاح الوطني، باعتبار الشيخ النقي صاحب الطريقة الرحمانية.
- ✓ رفض الأعمال الوحشية للاستعمار الفرنسي وحملاته على الخنقة والنمامشة وجبل أحمر خدو¹⁵.

يعتمد التنظيم العسكري للمقاومات الشعبية في عمومها على النظام القبلي، فزعيم القبيلة هو القائد الروحي والعسكري لها، حيث تتشكل من فرسان، ومشاة كانوا أغلبهم متطوعون يملكون الأسلحة التقليدية مثل: السيف، وبنادق، وسكاكين، تنقصهم الخبرة العسكرية مقارنة مع الجيش النظامي للأمير

¹⁴ - عباس كحول، 2012م، ص 273 .

¹⁵ - سليم كرام، 2004م، ص. 122.

عبد القادر وأحمد باي¹⁶، مع العلم ان الباحث والمتتبع لتاريخ الفرق العسكرية في المقاومات الشعبية يجدها تتغير وتتنوع على حسب الظروف الطبيعية، كما هو الحال في مقاومة عبد الحفيظ الخنقي¹⁷.

استطاع شيخ المقاومة في الزعاطشة الشيخ بوزيان ان يقدم نداء إلى كل الشيوخ الموجودين في المناطق المجاورة منهم الشيخ سي مختار بأولاد جلال، والشيخ سي الصادق بن الحاج بأحمر خدو والشيخ عبد الحفيظ الخنقي بالخنقة وسي الصغير بن الحاج بتورز، وشيخ القاسمي بزاوية الهامل ببوسعادة والواحات المجاورة له، لفك الحصار عن مقاومة الزعاطشة وتحرير الزاب من الاحتلال الفرنسي، ومع هذا النداء استجاب اغب الشيوخ إلى واجب الجهاد، وبذلك باشر بوزيان التنسيق والتخطيط مع الشيخ عبد الحفيظ الخنقي مقدم الرحمانية وشيخ زاوية لقصر الصادق بن الحاج، وخليفة الأمير عبد القادر محمد الصغير بن الحاج وجعل بعض العروش تنظم اليهم أمثال أولاد سعادة، وأولاد داوود، وأولاد زيان، وبني معافة، وبني فرح، وأولاد سلطان، وأولاد سحنون، وأولاد زكري من بطون أولاد نايل، والحلايمية، هذا كله من أجل قطع الإمداد عن المحتل في القنطرة¹⁸.

التجنيد: أخذ التجنيد طابع الجهاد بحيث أصبح واجب على كل رجل بالغ قادر على حمل السلاح ليدافع عن بلده وعشيرته، وكانت الخدمة العسكرية في نظر الجزائريين واجبا مقدسا، لان العدو يحمل حقد صليبي ضد عدو كافر، فكبار السن والفتيان الذين يقدرّون على حمل السلاح يتقدمون بكل فخر لقادة الانتفاضة قصد قبولهم في التجنيد، وفي هذا الصدد يذكر الجنرال هانوتو Hanoteau.A: "... كما أننا عرفنا رجال كبارا في السن يكاد يبلغ سنهم السبعين سنة لم يكونوا معفيين من حمل السلاح والمشاركة في المعارك"، أما عن شروط الالتحاق بصفوف التجنيد يختلف من قبيلة إلى أخرى حسب الظروف السائدة، فالتجنيد ضد الاحتلال الفرنسي او النصارى بصفة عامة ليس هو التجنيد الذي تشهده القبيلة ضد قبيلة أخرى معتدية، ففي الجهاد يصبح من الواجب على الجميع حمل السلاح دون استثناء بين

¹⁶ - زعار محمد مختار، 2020م، ص. 116.

¹⁷ - نفسه.

¹⁸ - عباس كحول، 2012م، ص. 273.

الجندي والمرابط الذي قلما يشارك في الحروب الداخلية¹⁹، حيث بلغ عدد المجندين في هذه المقاومة حسب المعلومات المقدمة انه قدر بـ5000 مجاهد من مختلف المناطق المجاورة لمدينة خنقة سيدي ناجي²⁰ وبضبط من الزاب الغربي وششار والأوراس، والتحق به الشيخ الصادق بن الحاج، والشيخ محمد الصغير وذلك لفك الحصار والعزلة التي كانت مفروضة على مدينة بسكرة في تلك الفترة²¹، وقد ساعده في هذه المقاومة طبيعة الإنسان الجزائري، حيث اعتبر الجزائريون صيادين مهرة، وقناصين بارعين يمتازون بالشجاعة، والتدريب المبكر على الرمي وركوب الخيل والفروسية، واعتمادا على قول سيدنا عمر بن الخطاب: "علموا أولادكم السباحة والرمية وركوب الخيل"، مع الاهتمام باقتناء أجود سلالات الخيل العربية الاصيل وتدريب الرجال على تلك المهام، لهذا تمكن الشيخ الخنقي من توسيع دائرة التجنيد خاصة بمنطقة النمامشة وهذا بعد ازدهار الطريقة الصوفية فيها، ومن بين هذه القبائل نذكر: أولاد سيدي يحيى بن طالب، قبيلة سيدي عبيد، قبيلة النمامشة، هذا لكون زاويته لم تقم روابط مع فرنسا مثلما حدث مع عائلة بن قانة²²، كما انضمت العديد من أعراس الزاب الشرقي كالخذران، وأولاد أعمار، وأهالي الخنقة، وسيدي مصمودي، والفيض، وسيدي عقبة، وتهودة، وقرطة، وقبائل لعشاش، وبني عمران، وبني ملول أولاد ظافر، وبني معافة، وبني بلبار، وبني أوجانة، وأولاد بوحديجة، وقبيلة السالمية، وبني موسى، وبني فراح، وبني يحيى، وبني وجنة، والأخضر خلفاوية، وقبائل بلزمة، وقبائل من اولاد نايل منهم أولاد ساسي، كان هذا الدعم من الداخل، أما الدعم الخارجي عن المنطقة تمثل في وصول المدد من

¹⁹ - زغار محمد مختار، 2021م، ص. 103.

²⁰ - اسم جغرافي يقصد به الفج أو المضيق بين جبلين ، تقع بالجنوب الشرقي للأوراس على الضفة الشرقية لوادي العرب ، إحدى بلديات التابعة لدائرة زريبة الواد، التي تبعد عنها هكذا 25 كلم ، يحدها شمالا بلدية الولجة ، أما شرقا بلدية جلال ، أما غربا وجنوبا بلدية زريبة الواد ، ومن الشمال الغربي بلدية كميل ، تأسست على يد الولي الصالح الشيخ سيدي المبارك بن قاسم بن ناجي الأصغر عام 1602م. للمزيد من التفصيل يراجع: موسى إسماعيل شماخي؛ مبروكي عمار، 2021م، ص. 451 .

²¹ - محمد الطاهر علاوي، 2016م، ص. 14.

²² - زغار محمد مختار، 2021م، ص. 104.

سطيف، وباتنة، وبوسعادة، وواد سوف، ومن زاوية نفطة بالجريد التونسي²³، بحيث وصل عدد الجندين إلى 3000 مجاهد و200 فارس بعدما كانوا 2000 مجاهدا وانضم إليه 500 فارس بقيادة محمد الصغير بن الحاج قادما من تورز، وكذلك 700 فارس يقودهم الصادق بن الحاج، كما تطوعت 50 فارس قادم من مدينة واد سوف بالجنوب، أين وصل عددهم الإجمالي 5000 آلاف مجاهد، أما جيش العدو الفرنسي كان يتكون من 150 مشاة، و70 قناصة إفريقية، و55 صبايحية، و200 فارس، و300 فارس من الليف الأجنبي تحت قيادة القائد العسكري ببسكرة سانت جرمان²⁴.

التسليح: اعتمدت المقاومات الشعبية عموما في تسليح جيشها على عقد صفقات سرية لشراء الأسلحة والذخيرة ويتم ذلك عن طريق وسطاء حتى من خارج البلاد مكلفين بشراء السلاح والذخيرة وتخزينها، كما عملت كل مقاومة تحميل كل مجند مسؤولية تسليح نفسه بماله الخاص ببندقية "جعبة بارود"، وقد سخر شيوخ القبائل مداخل المساجد والأوقاف والضرائب على الرجال الأغنياء للتموين والإمداد بالسلاح المتمثل أساسا في البنادق (الشاسبوت Chassepot البريطانية الصنع) والخرطيش والسيوف²⁵، وفي هذا الصدد يذكر النقيب شارل دوفو: "...لكل فرد سلاح مسدس أو سلاح أبيض "سلاح فليسة"²⁶ أو قاذوم (أداة حادة بشفرتين ...) ²⁷، وقد اعتمد المجندون على ألبسة بسيطة غير مكلفة تمثلت أساسا في العمامة

²³ - تم تأسيسها من طرف مصطفى بن عزوز في الجريد التونسي في نقطة عام 1844م، فقام ببناء المساكن لتوفير الراحة للمهاجرين، علاوة عن تعليم القرآن بها، حيث جاء تأسيسها بسبب الاحتلال الفرنسي لبسكرة، وبعد إثر حادثة مقتل أخيه و بأمر من شيخه علي بن عمر لنشر الطريقة الرحمانية هناك، للمزيد من التفصيل يراجع: ذياب هشام، 2014م، ص ص. 28-29.

كما لعبت دور تقديم الدعم للمجاهدين الهاربين من القمع الفرنسي عبر الحدود. للمزيد من التفصيل يراجع: محمد عبد الحليم بيشي، 2020م، ص. 93 .

²⁴ - عباس كحول، 2012م، ص. 276.

²⁵ - زغار محمد مختار، 2021م، ص. 106.

²⁶ - فليسة هو سيف ذو صفيحة عريضة في الوسط تنتهي بنصل مدبب يصنع في قبيلة فليسة البحر.

²⁷ - DEVAUX, C., 1859, p. 20.

أو قبعة إضافة إلى اللباس التقليدي الجزائري جلابيته، يمتلكون خيولا للمبارزة والبغال لحمل المؤونة والعتاد²⁸.

من خلال ما تقدم عرضه عن الإستراتيجية التي اعتمد عليها الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في مقاومته، انه استطاع ان يبني علاقات قوية مع القبائل المجاورة يتضمن ذلك التواصل المستمر، وبناء الثقة المتبادلة من خلال اللقاءات المتبادلة، كما عمل الشيخ على التنسيق الاستراتيجي الذي يتطلب التنسيق الجيد والتعاون بين الشيوخ والقبائل، ووضع خطة عسكرية مشتركة ضد العدو الفرنسي، وهذا التنسيق والتعاون لا يتم إلا بعد قيام القادة بالتعامل مع التحديات التي كانت موجودة في تلك الفترة، والمتمثلة في الخلافات الداخلية والصراعات السياسية، وتم ذلك فعلا بعد الاتفاقات المشتركة لحل النزاعات وتجاوز الخلافات وتحديد عدو واحد مشترك.

دراسة عسكرية للمعركة: بعد هذه الترتيبات وبتحديد في يوم 29 أوت 1849م تجمع الشيخ الخنقي بجيش قوامه 5000 آلاف مجاهد، وخاصة بعد تحالفه مع كل من أحمد بن الحاج (2000 شخص)، والشيخ الصادق بن الحاج الذي قدم من أحمر خدو (200 فارس)، وانطلقت القوات من خنقة سيدي ناجي وليانة²⁹ نحو مدينة بسكرة، أين أيدته جميع القبائل التي حل بها منهم قبيلة اولاد صولة وذلك بتقديم الدعم المادي والمعنوي له ويظهر هذا في العدد والعدة، بعد استكمال كل الاستعدادات أعطى الشيخ الخنقي أوامر بتحرك الجيش نحو الواحة، وبتاريخ 17 سبتمبر 1849م وصل الشيخ وجيشه إلى وادي براز بمحاذاة سريانة التي تبعد عن بسكرة ب20 كلم، التي كانت تحت حكم الشيخ علي بن شنوف الموالي للسلطة الفرنسية، هنا أعطى الشيخ الخنقي الأمر بحط الرحال في الجهة اليسرى من الواد، وفي هذه الأثناء راسل الشيخ الخنقي شيخ منطقة سيدي عقبة بن شنوف لطلب المساعدة والعون منه، لكن هذا الأخير قابله بالخيانة وأبلغ السلطات الفرنسية بالأمر، أين جهز القائد سان جيرمان قوات قوامها 300 مشاة و200 فارس من الخونة، و70 قناصا، و55 صباهي، وأسندت قيادة هذا الجيش للعميل

²⁸ - زغار محمد مختار، 2016م، ص. 106.

²⁹ - محمد العيد مطمر، 2006م، ص. 88.

بولخراس في تهودة ظنا منه أن القوات متواجدة في القرية، بعدما اعلم سان جرمان الحاكم الفرنسي ببسكرة إن قوات الشيخ عبد الحفيظ الخنقي مرتكزة بجانب الواد توجه مباشرة إلى المكان وحاصره³⁰، مع وقت الفجر انطلقت المعركة، ويؤكد ذلك بن قانة في قوله أنها بدأت في حدود الساعة الخامسة والنصف صباحا من يوم 21 سبتمبر 1849م واستمر المعركة إلى غاية الليل وبعد قتل الضابط سان جرمان تراجعت القوات الفرنسية، لكن هذا الانسحاب كان في صالحها وخاصة بعد وصل الإمدادات إليهم وتبني العدو الفرنسي إستراتيجية تعتمد على نصب الكمائن والمباغثة بعد الاختباء واستعمال معدات حربية متطورة، وبذلك انقلب الموازين وسيطر العدو على واقع المعركة مما جعل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي يعطي أوامر بالانسحاب إلى الجبال المجاورة لمكان المعركة، وذلك مع حلول الساعة السادسة مساء³¹.

- التكتيك العسكري وأساليب القتال في معركة واد براز: من المعروف انه هناك اختلاف كبيرة في موازين القوى بين جيش عبد الحفيظ الخنقي والقوات الفرنسية، لذا نجده اعتماد على إستراتيجية عسكرية تمثلت في حرب العصابات وأسلوب الحرب الثورية في سائر مقاومته (الحرب الغير مباشرة)³²، لكنه في هذه المعركة اعتمد على أسلوب المواجهة المباشرة مع الدقة في التنفيذ والانسحاب واستغلال المناطق الوعرة والصعبة والمسالك الكثيرة والجبال وتوسيع مسرح العمليات لان الاتساع يعطي نتائج ايجابية في ميدان المعركة، والاستفادة من المباغثة، والهجوم السريع الخاطف والتبدد في الطبيعة بالانسحاب تكتيكي محمل بالغنائم، معتمدين على التخفي والاختلاط بالسكان وتحصين قاعد الانطلاق والسرية التامة في التحرك مع الاعتماد على الإمكانيات الذاتية في العيش³³.

³⁰ - ZERDOUM, A., 1999, p. 32.

³¹ - محمد الطاهر عزوي، 1980م، ص. 191.

³² - الحرب غير المباشرة تنطلق من مفهوم الحرب المتحركة التي تعتمد على تشتيت تمركز قوات العدو المتوقعة والمتحصنة، وتبديد نيران أسلحتها الثقيلة و في نفس الوقت تقادي المواجهات الكلاسيكية المباشرة، مما يقلل من خسائر الثوار.

³³ - الجنرال كارل فون كلاوزفيتز، 1998م، ص ص. 670-671.

رغم تفوق القوات الفرنسية في هذه المعركة بسبب استخدام الأسلحة والمدافع واعتماد على جيش مدرب مستعين ببعض الخونة من الأهالي، غير أن تكتيك الحربي الذي استعمله عبد الحفيظ الخنقي في هذه المعركة وخاصة جر القوات الفرنسية إلى محاذات الواد واتخاذ أماكن إستراتيجية للانطلاق والهجوم كبد القوات الفرنسية خسائر كبيرة وخاصة مقتل قائد الجيش الفرنسي في منطقة بسكرة المسمى "سان جيرمان" الذي كان له تأثير كبير على التواجد الفرنسي في الجزائر، لذا وجب علينا بدراسة هذه المعارك دراسة عسكرية إستراتيجية وتدريبها في المعاهد التاريخية والمدارس الحربية الإستراتيجية في الجزائر مستقبلا.

قائمة الببليوغرافيا:

1. عباس كحول، 2012م، "عبد الحفيظ الخنقي ودوره في المقاومة الوطنية بالزاب الشرقي واحمر خدو 1849م"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 03، ص ص. 265-283.
2. عاشور بن محمد الخنقي، 1914م، منار الاشراف على فضل عصاة الأشراف، الجزائر.
3. عبد الحليم عسائي؛ مروان سميح قدوح، 2019م، "خنقة سيدي ناجي أو تونس الصغيرة حاضرة علم وفن وجمال"، مجلة جماليات، 6، 1، ص ص. 114-143.
4. الورتيلاني الحسين بن محمد، 1908م، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الجزائر.
5. أبو القاسم سعد الله، 1983م، تجارب في الأدب والرحلة، الجزائر.
6. زراري شمس الدين ؛ بن زوال جمعة، 2021م، "دور الزاوية الرحمانية في محاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر من 1830 الى بداية القرن العشرين"، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 06، 02، ص ص. 559-578.
7. لزهة فارس، 2017م، "بنية السفر في رحلة أبي القاسم سعد الله إلى خنقة سيدي ناجي"، ندوة الرحلة في الأدب الجزائري صورة الواقع وجمالية المتخيل، يومي 19-20 نوفمبر 2017م، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر.
8. صالح بلعيد؛ وآخرون= صالح بلعيد؛ عبد القادر بوعرفة؛ محند اودير مشنان؛ عبد العزيز فيلاي؛ موسى اسماعيل؛ بدر الدين فيلاي، 2015م، "من مخطوطات علماء مدينة قسنطينة: جواهر المكنونة في العلوم المصونة للشيخ عبد الحفيظ الخنقي"، مجلة العلوم الثقافية الإسلامية، 13، ص ص. 395-447.
9. خير الدين الزركلي، 1990م، الأعلام، 03، بيروت.
10. محمد الطاهر علاوي، 2016م، "عبد الحفيظ الخنقي، صفحات مشرفة من حياته جهاده وآثاره"، مجلة الثقافة الإسلامية، 12، ص ص. 09-18.
11. سليم كرام، 2004م، "الشيخ عبد الحفيظ الخنقي فارس مقاومة الكرامة في واد براز"، مجلة الخلدونية، 3.
12. زغار محمد مختار، 2020م، "بنية الفرق العسكرية للمقاومات الشعبية، فرقة مسبلي مقاومتي لالة فاطمة نسومر والشيخين المقراني والحداد انموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، 2، 1، ص ص. 116-130.
13. زغار محمد مختار، 2021م، "التكتيك العسكري في انتفاضة المقراني 1871، من خلال كتابات الضباط الفرنسيين"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، 03، 01، ص ص. 102-118.

14. موسى إسماعيل شماخي؛ مبروكي عمار، 2021م، "دراسة انثربولوجية لمؤهلات السياحة الدينية بمنطقة بسكرة"، مجلة علوم الانسان والمجتمع، 4، ص ص. 445-462.
15. ذياب هشام، 2014م، محمد المكي بن عزوز: حياته وآثاره، 1854م-1961م، رسالة الماجستير غير منشورة، تخصص التاريخ المغربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف-المسيلة.
16. محمد عبد الحليم بيشي، 2020م، "الشيخ عاشور الخنقي وأثره ومعاركه الفكرية"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، 5، 1، ص ص. 89-122.
17. محمد العيد مطمر، 2006م، "الغزو والاحتلال الفرنسي للأوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة (1844-1884م)، مجلة العلوم الإنسانية، 6، 10، ص ص. 79-98.
18. محمد الطاهر عزوي، 1980م، تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي (1837م، 1954م)، الجزائر.
19. الجنرال كارل فون كلاوزفيتز، 1997م، عن الحرب، تر: سليم شاكور، ط، 2، لبنان.
20. ZERDOUM, A., 1999, Les français à Biskra 1844-1962, Alger.
21. DEVAUX, C., 1859, Les kebaïles du djerdjara, Marseille, Paris.